كم بيننا من الكتاب ؟

للأستاذ عبد المنعم الصاوى

من الكاتب ؟ ...

إذا كان كل من يحمل قلماً يستطيع أن يخط به كلاما يمكن أن يقرأ ، ويؤدى إلى معنى من المعانى ، أيا كان هذا المعنى .

إذا كان هذا يسمى كاتباً ، إذن لجاز لنا أن نسمى أطفال المدارس الابتدائية كتاباً ! !

وإذا كان الكاتب هو ذلك الذى يستطيع أن يملأ عدة أعمدة من صحيفة أو مجلة أو كتاب ، فى أى وقت يشاء ، أو فى أى وقت يطلب إليه أن يكتب ...

إذا كان هذا هو الكاتب ، إذن لأخرجنا الكتابة عن نطاقها الفنى ، وحدودها المتسامية ، وجعلناها أقرب إلى الصناعة منها إلى الفن الجميل المتسامى ! !

فمن إذن الكاتب ؟ ... من هو ؟

هو الذى يحمل قلماً ، وفكرة ، وأمانة .. فأما القلم فوسيلة ، وأما الفكرة فنهج ، وأما الأمانة فهى الهدف .

وليس القلم هو ذلك الشىء الصغير المتواضع الذى يستطيع أى إنسان أن يملكه ، ما دام يستطيع أن يدفع ثمنه الزهيد الصغير ... وإنما القلم معنى من المعانى الكامنة فى النفس ، قبل أن تكون كامنة فى الجيب ، أو فى محال بيع الأقلام بمختلف أنواعها . .

هذا المعنى الكامن فى النفس ، يستمد عناصره ، ووجوده ، وكيانه كله ... من الدم ، والألم ، والقلب معاً .

وليست الفكرة ، هى أن تدرس كتاباً ، أو عدة كتب .. أو أن تنتهى من دراسة ، ولو كانت جامعية .

لا ، ليست هذه هى الفكرة ، وإنما هى قبل كل شىء فلسفة تتخذها بعد أن تكون قراءات الزمن فى الكتب وفى الحياة ، وتجارب السنوات رشدائد الأيام ، واستقصاء المعارف والحقائق الكونية الراسخة فى طبيعة البشر . . بعد أن تكون كل هذه العناصر قد تفاعلت فى نفس إنسانية ذواقة ، متفتحة ، مشرقة ، لماعة ، بارعة ، فاستقرت أخيراً فيها حقيقة واحدة ، تكون منهجاً واحداً ، يتخذه الكاتب فلسفة فى الحياة .

وليست الأمانة هى أن تحمل رسالة معينة وتسعى إلى تحقيقها بمختلف الوسائل . . ليست هذه هى الأمانة ... وإنما هى اسمى من هذا بكثير .

هى أمانة الكاتب لقلمه المستمد من دمه وعرقه وآلامه وقلبه ... أمانته تجاه هذا القلم ، فإذا هذا القلم أقدس ما يملك ، لا يستبيح لنفسه أن يتجنى عليه باستعماله استعمالا غير مشروع ، أو استعمالا يجاوز الحق ، ولو فى واحد من مائة ، فإن مجاوزة الحق تتساوى : واحداً فى المائة ، ومائة فى المائة .

وهى أمانة الكاتب تجاه منهجه الذى كونته الدراسات والقراءات والتجارب والدموع ... لا يتصرف فى هذه الفكرة إلا فى حدود تتسق معها ولا تنبو عنها .. ولا تتنافر أو تتناحر مع فلسفة الكاتب فى حياته .

وهى أمانة الكاتب تجاه مجتمعه الذى يعيش فيه ... أمانته تجاه العقول والأفكار التى تتناول إنتاجه وتتأثر به ، وتحذو حذوه ....

وهى أمانة الكاتب تجاه التاريخ الذى يتناوله ، ويسجل عليه ، ما أفاد ، وما أضر ، ويضعه فى القائمة البيضاء ، أو ينخفض به إلى مستوى الذين لا يرتفعون عن القائمة السوداء .

إذا توفرت هذه العناصر كلها فى شخص فهو الكاتب ،

فأكبت عليه وهى تبكى ووقف المسلمون إزاءه يترحمون عليه ويسألون الله له الجنة .

* * *

يقول أنس بن مالك (فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون) .

ويقول (كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه من المؤمنين « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ؛ فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا)(١) .

(المعادى) عمر الخطيب

(فتى الفيحاء)

---

(١) روى حديث أنس الشيخان البخارى ومسلم .

وإلا لم يكن كاتباً ، وأصبح من الجناية على المجتمع وعلى الأفكار وعلى الأخلاق ، وعلى مستقبل الجيل أن يعد هذا الشخص كاتباً ... بل أصبح من الجناية فعلا ، أن تفتح لأمثال هذا الإنسان المتجنى صفحات الصحف ، وأنهار المجلات ، وأبواب دور النشر .

والسؤال الآن هو : كم كاتباً فى مصر ؟

فى مصر سبع صحف يومية تصدر كل صباح ، وثلاث تصدر كل مساء ، عدا المجلات الأسبوعية التى لا يدركها الحصر ، غير المجلات الشهرية ، والنشرات الكثيرة العديدة .

وفى كل صحيفة من هذه الصحف ، مقال واحد على الأقل ، أما فى المجلات فكل منها تحوى عدة مقالات .

ولو أننا استعرنا الطريقة الأمريكية فى الأحصاء ، لأمكننا أن نقول إن القراء المصريين يواجهون كل يوم بحوالى عشر مقالات وقصص لعشرة كتاب ...

ومعنى هذا أن هناك سبعين قلماً تسود هذه الصفحات البيض ، وتطلع بها على القراء ! !

كم مقالة من هذه المقالات ، وكم قلماً من هذه الأقلام ، يستحق أن يعنى به عقل واحد ، أو تفكير واحد ، أو قارىء واحد ؟ . .

وكم من هؤلاء الكتاب ، لهم أقلام ، وأفكار ، وأمانات ؟

هل هم هؤلاء الحزبيون الذين لا يمسكون أقلامهم إلا ليصفوا وجه كبير بأنه أقرب إلى وجوه الملائكة طهراً ... ويصفوا ذاك الكبير بأنه مقلوب السحنة يحاكى الشياطين ! !

أم هم أولئك الذين يتعرضون لخفايا السياسة ، دون أى علم بعلم السياسة أو فن السياسة أو خفايا السياسة ... ويتبجحون فإذا هم يوجهون ، ويرسمون الخطوط وينقدون ، بل ويكيلون اتهامات لا حصر لها ، زاعمين أن لهم مكان القيادة بين الساسة والزعماء ! !

أم هم هؤلاء الذين يتناولون حقائق الفن بأقلام هزلت وضعفت حتى لا تكاد ترى ولا تبصر ، فإذا الكلام عن الفنون كله وصف لعيون هذه الممثلة أو تلك ، أو صيحات هذا الممثل أو ذاك ، أو هزات بطن هذه الراقصة أو تلك ! !

أم هم أولئك الذين ينتجون ألوان الأدب من شعر وقصة ومسرحية ، دون دراية بفن ولا علم ... ودون أن تتكون لديهم ملكة الخلق والانتاج ، فإذا إنتاجهم كله وصف سخيف ، وحوار ممل ، وحوادث تهدف إلى استغلال أرخص العواطف وأحط النزعات ! !

أين هم إذن ... على صفحات الصحف والمجلات ؟ .

لو استطعنا أن نجد واحداً أو اثنين أو ثلاثة ... فمن يكون بقية السبعين ؟

هل هم كتاب ؟

لست أجيب ، وإنما أترك الإجابة لقراء هؤلاء الساكنين ... بقيت الكتب ... ودور النشر التى أصبحت مفتوحة الأبواب لكل طارق .

كم من هذه الكتب يمكن أن يكون ذا فائدة أو أثر للقراء ... ؟

وكم من كتابها يصح أن يعدوا بين الكتاب ؟

إننا لحسن الحظ نجد أن عدد قراء الكتب ، المشكوين بما فيها قليل ، ولهذا يهون الشر .

ما سبب هذا الوضع الغريب المخجل الشاذ ؟

وماذا يكون علاج هذه الحالة العجيبة ؟

وكيف يمكن أن تتعدل هذه الأوضاع الغريبة ؟

نترك هذا الآن ... إلى عودة .

عبد المنعم الصاوى

الأستاذ بقسم الصحافة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة

إدارة البلديات العامة — عدائى

تقبل العطاءات بمجلس بلدى كفر الزيات عن توريد شعير وتبن وفول لمؤونة الحيوانات عام ١٩٤٨ وقد تحدد ظهر يوم ١٢ / ٦ سنة ١٩٤٨ آخر ميعاد لفتح المظاريف بالمجلس وتطلب الشروط من المجلس على عرضحال تمغة فئة ٣٠ مليم نظير دفع الثمن وقدره ١٠٠ مليم ٩٤٦٦